مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
SUJHUS 2023 (آب), مجلد 1,عدد 1 ,الصفحات 36-44

التداولية والنقد الأدبي دراسة في مسرى التعالق

أ.د. خالد حوير الشمس[1]*
[1]كلية التربية, جامعة ذي قار, ذي قار, العراق

الملخص

يتبنى البحث فكرة الممازجة بين تخصصي اللغة والأدب في مساره الأول، ثم تأشير التحول في الرؤية التداولية أو النظرية التداولية إذا صح التعبير من البحث اللساني إلى المنوال النقدي بوصفه ممارسة تحليلية للنص الأدبي بجنسيه الشعري والنثري، فصرت أراجع مفهوم التداولية، وتكوينها، وطبيعتها على وجه الاختصار، ثم التفتيش عن مقولات التأسيس التداولي الذي يناقش صلاحية دراسة الأدب على وفق مسارها، ولاسيما مقولة الإمكان الذهني عن جون سيرل، ومقولة مقاربة الأدب تداوليا عند إلفى بولان، وغيرهما، ولاحقا في خطوة ثالثة تمت قراءة بعض المحاولات النقد/تداولي في البحث اللساني العربي، ليتم الإعلان عن صلاحية هذا النوع، والمقاربة، بوصفها منهجا نقديا.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي_ التداولية- الفعل الكلامي- اللسانيات

Pragmatics and Literary Criticism

A Study in the Path of Interdependence

Dr. Khalid Huwair Al-Shamss[1]*
[1]College of Education, University of Thi Qar, Thi Qar, Iraq

Summary

This research adopts, in its first part, the mixing idea between two disciplines "language and literature "; then marks the shift in the pragmatic vision or the pragmatic theory, so to speak, from the linguistic research into the critical method as an analytical practice of the literary text of both poetic and prose types.

I began to review the concept of pragmatics, its formation, its nature in short and then to search for the categories of the pragmatic foundation that discusses the validity of studying literature according to its text and method, especially the argument of "John Searle's ((Mental Possibility))) and ((Argument of Approaching Literature Pragmatically for Elfie Pollan)), and others.

Later on, readings of some pragmatic critical attempts in Arabic linguistic research had been done, to announce and agree on the validity of this type , and Interdependence as a critical approach.

Keywords: literary criticism, pragmatics, linguistics

المقدمة

الحمد لله حق الحمد...

ثمة لغط، واعتراض، وعدم تقبُّل لمن يتخصص في اللسانيات، ويشتغل في النقد! ولعمري إنه اعتراض مزعوم، قام على قلةِ زاد، وضَعْفِ حجةٍ، فيكون ذلك هاجسا يشغلني أن أرد بعض المزاعم، وبعض الاعتراضات، فسجلت فكرة دراسة التداولية منهجا نقديا، وأخذت أفتش عنها، في دراسات تداولية تأسيسية نحو مواد أوستين، وسيرل، وآدمز، وإلفى بولان، وجاك موشلار، وغيرهم من الدراسات العربية التي اختارت التداولية منهجا لتحليل الأدب، ومنها أطروحة عبد الله بيرم: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، وغيرها كثير.

* **Email address: khalidhower@utq.edu.iq**

جاءت خريطة البحث على وفق عتبة أولى وضحت فيها حجم المشكلة البحثية، وبعض التصور عنها، ثم المحور الأول مداليل التداولية للتجهيز إلى تقديم الرؤية التي يتبناها البحث والباحث، ثم المحور الثاني: اتجاهات أدبية / تداولية، وأعني بها تداولية الشعر، والنثر عند المؤسِّسين، ثم المحور الثالث: نقد تداولي/ وتداولية نقدية، لأفتش عن رؤية الدراسات العربية التي تماهي بين التداولية اللسانية والنص الأدبي.

عتبة أولى

ثمة أسئلة ترد عند المعنيين بالنقد، واللسانيات، مفادها هل يحرس النقد حدوده، ولا يتعداها نحو اللسانيات ؟ فنكون مؤمنين بمبدأ القطيعة المعرفية بين العلوم، وهذا مما لا يتم إحكامه، والسيطرة عليه؛ إذ التنافذ لا إراديا، وضرورة ملحة، فيرتسم وادٍ ثانٍ، يتضمن انفتاح النقد على مسارات المعرفة اللسانية، ويتجسّر مع التداولية منها، مثلما تجسّر مع البنيوية، والنصية، فأفاد من مقولات التداولية في تحديد بعض ملامح الشعرية، وجماليات النص، فوقعنا في فخ السؤال المحتم: ماذا نسمي هذا التعالق: النقد التداولي أم تداولية النقد؟ فمحال أن تبقى التداولية لسانية صِرفة؛ كونها خلعت بعضا من ثوبها اللساني تجاه النقد، فينقاد الباحث الناقد إلى سؤال مشروع: هل يحق أن نوظف التداولية في مجال النقد بوصفها ميزانا للنص؟

لماذا يطرح السؤال؟ لوجود إشكالية ذات منحيين، الأول: أن التداولية تواصلية، يومية، ذات صدق، ونزاهة، والشعر رمزي، غامض، فكيف يتم دفع هذا التصادم؟ وفي الوقت نفسه أن مباحثها كثيرة :الفعل الكلامي، والتأشير التداولي، والافتراضات المسبقة، والسياق التداولي، والقصد التداولي ،وقوانين الخطاب ،والاستلزام الحواري، هذا في حدود التداولية العامة، فكيف إذا تطورت نحو أدوات أخرى مثل الاستنتاج، والاستدلال، والملاءمة، والبعد الثقافي؟ فصار عندنا التداولية الثقافية، والمعرفية، والأدبية، والاجتماعية، والمدمجة، وغيرها. فبأي منهم يتقيد الناقد؟

ولدفع هذه الإشكالات الثلاثة، أبسط القول بمسائل ثلاث، تتكفل بالإجابات عنها الأولى مفهوم التداولية، والأخرى اتجاهات أدبية تداولية، وتفصيل القول بمذهب النقاد العرب المحدثين.

مداليل التداولية

تتعدد مفاهيمها تعددا يحيل على انطباق بعض منها على دراسة النص الأدبي، والتأسيس للنقد التداوليّ ،الذي أصبح يوازي المناهج النقدية الأخرى، بحساب أن النقد مطاط بتكوينه، ومساحة مرنة كالإسفنجة يستوعب المفاهيم، فكلما جاءت ريح انحنى لها ،فلم يصمد أمام زوبعة البنيوية، وطلاوة السيميائية، وصرامة السياق، ومجريات النص، فوجد ما يسمى النقد البنيويّ ،والسيميائيّ ،والسياقيّ ،والنصيّ.

وتعدد النظر إلى التداولية فكثرت نعوتها, بين التيار، والنظرية، والمنهج، والمدرسة، ولا ضير في تلك، فلم يختل مفهومها عن كونها اتجاها تواصليا ،يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، من جهة ما نوع التراكيب المستعملة، ومن المتكلم؟ وماذا تكلم؟ وماذا يريد؟ وما يقوله غير ما يريده، ومن المتلقي؟ وما ظروفه المحيطة به؟ فيدخل في ضوء هذه الاستفهامات البنية النصية، والخطاب، والسياق، والقصد، ومحاولة استجلاء المضمر.

فجاء تعريفها عند التداوليين بناء على هذه المعايير، فقيل فيها عند موريس منطلقا من معيار السيمياء ((التداولية جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات))[1].وقد جاء تعريف لها وفقا لغرابة الاختيار المفرداتي ،والتركيبي ،والشواذ منها، وهذا ما يتبناه ليفنسون:((التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلها لإدراك غرابة بعض الجمل ،أو عدم مقبوليتها ،أو لحنها، أو عدم ورودها في لغة المتكلم)). [2]

وقيل في تعريفها بناء على الملحظ السياقيّ :((هي دراسة اللغة التي تركز الانتباه على المستعملين ،وسياق استعمال اللغة ،بدلا من التركيز على المرجع-علاقة العلامة بما تحيل إليه أي علاقة الدال والمدلول، أو قواعد النحو- أي علاقة العلامات فيما بينها في التركيب النحوي))[3].

والمعنى معيار أرحب في حدها ،يقول جورج يول:((تختص التداولية بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم...التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم))[1].

---

[1] المقاربة التداولية، فرنسيس ارمينكو:٨.

[2] الأسس الابستمولوجية للنظر النحوي عند سيبويه ,إدريس مقبول: ٣٦٤.

[3] في التداولية اشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب، عيد بلبع ،مجلة الاقلام،العدد٥، ٢٠٠٨م: ٢٢- ٢٣.

ويبرز المنحى التأويلي ،والاستدلالي طابعا مهما في بيانها، وهذا ما يراه كثيرون، ومنهم جورج يول:((التداولية هي دراسة كيفية إيصال اكثر مما يقال)) [2].أي ترمى الحجرة في بركة المتلقي، والمراهنة على صياغة الاستدلالات التي تحدد المعنى الذي يقصده الباث مع الإفادة من العمليات الادراكية ،والنفسية ،والثقافية ،أي اللجوء إلى الكفاية الموسوعية بتعبير مختصر.

وترد تعريفاتها إلى أكثر من ذلك؛ لتعدد زوايا النظر إليها، ولتعدد توظيفها في الذاكرة التحليلية؛ كونها تنفتح على تحليل الخطاب ،وتتسم بالشمولية في توجهها النصي، في المجالات المتعددة الاجتماعي، والتأويلي، والسيميائي، والثقافي، واللغوي، والنحوي مركزة على البعد التواصلي في العملية الخطابية باشتراطه المكون من المتكلم ،والمتلقي ،والنص فضلا عن الكفاية الثقافية ،والسياق الموقفي.

اتجاهات أدبية / تداولية

حضرت التداولية إجرائيا في عدد من الميادين ،ومنها ميدان النقد بوصفه ممارسة بينية ،بعيدا عن التفكير بمدى صلاحها وعدمه للتحليل الأدبي ،وبعيدا عن النظر اليها نموذجًا نقديا ،فجاءت على اتجاهات في دراسة الأدب سواء أكانت في التفكير الغربي ,أم في التلقي العربي.

اتجاه نظري يناقش صلاحيتها وعدم صلاحيتها لدراسة الأدب ،ومؤسس هذا الاتجاه سيرل ،وربما يسبقه اوستين، ثم جاء بعدهما إلفى بولان، وجان_ ك آدمز، وتم عرض هذا الموضوع في البدء ضمن تأسيساتهم، ولاسيما في كتاب (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) لأوستين، و(القصد والعبارة) لسيرل، و(القاموس الموسوعي للتداولية)، لجاك موشلار، و(التداولية اليوم علم جديد في التواصل), لآن ريبول وجاك موشلار، ثم تطور في كتب مستقلة، فنهض في تجربة المقاربة التداولية للأدب، والتداولية والسرد. مع حضور ذلك في عدد من الكتب بمساحات صغيرة، وقد ناقشته في كتابي دراسات نقدية في الشعر والنثر، وكتابي البعد التداولي في النثر الصوفي.

-اتجاه تطبيقي، وهو على مناحٍ عدة:

*منحى شعري تداولي، طبق على تحليل الشعر، سواء أكان الشعر القديم، أم الحديث، فدرس بعض من الشعر من قبل عبد الله بيرم، تداولية المديح في الشعر العباسي، ومن دراسة الشعر الحديث منى أبو نايلة في بحثها: شعر آل ياسين دراسة تداولية.

ومن ضمن هذا المنحى وجدت دراسات تؤصل له، فقد درس الدكتور عبد الجليل هنوش رؤية آبن طباطبا والتصور التداولي للشعر بوصفه ناقدا ،وضع رؤاه النقدية في كتابه عيار الشعر ،معتمدا على الشاعر، والمتلقي، والنص، والمقام، وهذه قيم تداولية واضحة في البحث اللساني الحديث((وقد تبين لنا من خلال قراءة آبن طباطبا أن الخيط الناظم بين أفكاره هو نظرته التداولية لعلم الشعر وتركيزه على مختلف عناصر التواصل الأدبي من شاعر وناقد، ونص، ومقام))[3].

*منحى سردي تداولي، دراسة السرد على وفق معطيات التداولية التي أسس لها هذا الاتجاه ،ومن ذلك دراسة البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، د. حمو الحاج ذهبية، والمقامات في العصر العثماني المطبوعة دراسة تداولية للباحثة جنان جاسم .

وهنا سؤال، ما صورة التداولية في هذا الاتجاه التطبيقي الأدبي؟ لم أجد نقدا تداوليا مؤسسا بحسب صياغة الأدب، وطبيعته، بل درست هذه الدراسات قضايا تداولية، تكاد لا تصلح للخطاب الأدبي، ولاسيما الشعري منه، فقد ورد التأشير التداولي في خطاب آل ياسين الشعري، وفي المقامات العثمانية، فضلا عن دراسة الفعل الكلامي بصورته اللاشعرية، واللاسردية، ثم دراسة قواعد التخاطب الأربعة، التي تكاد تكون معدومة في الأدب ؛ لأن يقل الكم فيه، وتبتعد الملاءمة، وصولا إلى مبدأ التهذيب، والتأدب، والتأدب الأقصى.

وقد يدرس بعضهم عناصر الخطاب التداولي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة؛ للوقوف على تواصلية النص.

ولم تخرج هذه الدراسات عن الدرجات الثلاث للتداولية، ونظرت إلى الأدب خطابا سطحيا، وفاتها مما يميزه من قيم، وأهمها قيمة المجازات، وقيمة البناء السردي، والاكتناز الثقافي في أي نص ، فهذه القيم الثلاثة قد تمت مصادرتها.

---

[1] التداولية، جورج يول،:١٩.

[2] التداولية: ١٩.

[3] التصور التداولي عند آبن طباطبا، عبد الجليل هنوش، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، العدد ١٦٨، مجلس النشر العلمي الكويت ،٢٠٠٠-٢٠٠١م: ١١.

نقد تداولي/ وتداولية نقدية

اعتنى محللو الخطاب الأدبي بالتداولية، وأفادوا من مبادئها، ومقولاتها في فهم الخطاب الأدبي ،واسكتناه مقاصده، وعرض جمالياته، فتشكل خطاب نقدي تداولي، يتنافذ مع النص، مبرزًا مفاصله التواصلية مع متلقيه، والسؤال الرئيس في هذه المحاولة وما البواعث على نشوء هذا النقد التداولي؟

تأتي المبررات على وفق الأتي:

ينظر النقاد التداوليون إلى النص الأدبي نظرة تحليلية لا تتجاوز المألوف في التحليل النصي التداولي، فيكون في قناعتهم((تتعامل التداولية مع النص الأدبي على أنه بنية ,وحدث فتربط ملفوظاته, بالوظيفة, والسياق المقامي, والأداء الإنجازي مختفية بعنصر المقصدية ,والوظيفة ومتجاوزة سؤال البنية والدلالية؛ لتعنى بسؤال الوظيفة, والرسالة ,والسياق الوظيفي)).[1]

- تأسيس سيرل لتداولية نقدية، تقوم على عالم الإمكان الذهني ،والإفادة من تداولية التخييل، باعتبار أن الشعر وأكاذيبه عوالم مجازية، عصية على الفهم العادي؛ وكي لا تُدفع التداولية، ويتم تحجيمها في ظروف نشأتها أول الأمر، عالجه، وردمَ مشكلة المرجع، والغموض ، فعُد المؤسس الحقيقي للتداولية الأدبية، إذ ربط بين الكذب والتخييل، وينظر ألى الخطاب المجازي فعلا كلاميا موهما[2].

فقام بتقسيم الأقوال في العملية التواصلية على نوعين :

أ-أقوال معبرة عن قضية صادقة، وهذا ما توافر في التواصل غير الشعري .

ب- أقوال تعبر عن قضية كاذبة، بناء على فعل الخيال، وصناعة الإيهام ،بعيدا عن المغالطة[3].

وقد اقتنع التداوليون بأن التخييل السردي هو الأعقد تداوليا من التحليل الشعري ،ولم يكثروا الحديث عن الأول ،أما اكتفاء بسيرل، أو اقتناعا بأن التكثيف الشعري هو الأقل إقبالا ,وحضورا تداوليا، فطرحوا مشكلة التواصل السردي في بعض فصول كتبهم، ثم صار تأليفهم به.

ويمكن تنميط المشغل التداولي الأدبي عند المؤسسين إلى مشغل تداولي شعري، درسه سيرل، ومشغل تداولي سردي، دُرِس عند آن ريبول في القاموس الموسوعي التداولي ، إذ وضع فيه فصل بعنوان السرد والتخييل .

ووضع جون ك آدمز كتابا يناقش هذا المشغل ، وهو كتاب التداولية والسرد، ثم تناوله بوضوح كتاب المقاربة التداولية للأدب لالفى بولان، والدعوة فيه إلى تحليل السرد على وفق عالم تداولي تضبطه مكونات السرد نفسه.

ولبعض الرافضين لتداولية الأدب الحق في مذهبهم؛ لأنهم اعتمدوا الحقيقة اللسانية التي جاء بها اوستين، وسيرل، إذ اعتمدا على الخطابات المنجزة فعلا، أو مما هي في طور الإنجاز إذا كانت وعدا ، أو أمرا ، أو مما يطابق العالم بتعبير أعم, ويعتدَّان بالخطاب النزيه، فيرون أن الجمل التي يشتغلان عليها ((هي جمل جادة، أو تم التلفظ بها، تجد وبالفعل يقصي اوستين وسيرل من مجال الأعمال المتضمنة في القول الجمل الواردة في خطاب غير نزيه كالخطاب التخييلي على سبيل المثال))[4].

ومَن يستمر بقراءة اوستين، وسيرل سيرى منهما إجازة التعامل التداولي في الخطاب التخييلي إذ تولدت قناعة عند سيرل ((أن الكذب والتخييل نشاطان لغويان يتخذان غالبا شكل الإخبار أو الإثبات دون أن يكون مع ذلك إخبارا أو إثباتًا خالصين))[5].

ولكي يدفع سيرل التخييل المحال في الخطاب الشعري يقترح أو يشير إلى الاتفاقات المتواضع عليها في دلالات الألفاظ، والتراكيب عند قطبي التواصل؛ ليجعل ذلك التواصل ممكنا، ومباحا، ومقبولا تداوليا ((وقد نفى سيرل ليفسر كيف أن التخييل ممكن من منظور مفرط في التواضعية حيث تبلّغ المقاصد بفضل مواضعات تتحكم في الجمل التي تعبّر عنها فرضية وجود لغة خاصة بالتخييل ليس للجمل فيها المعنى نفسه الذي لها في الخطاب العادي وافترض حينئذ وجود قواعد

---

(1) المقامات المطبوعة في العصر العثماني المطبوعة دراسة تداولية، جنان جاسم ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الفادسية،٢٠٢٢م: ١١.

(2) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار – آن ريبول ٤٦٧ .

(3) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية:٤٦٨– ٤٧٠.

(4) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول –جاك موشلار: ٣٦– ٣٧.

(5) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٣٧.

تواضعية خاصة بالتخييل، وهي قواعد لا تبرز معنى الجمل، بل تعطّل عمل القواعد الدلالية المتحكمة في معناها، ولاسيما منها القواعد ذات الصلة بنوع العمل اللغوي المنجز والحالة الذهنية للقائل-قاعدة النزاهة على وجه الخصوص))[1].

تقودنا اقتراحات سيرل أن نذكر أن اللغة نظام رمزي، وتأتي تلك الرمزية عبر المجازات، التي تعد الأداة الأخصب في الخطاب التخييلي، وقد اشّر التداوليون أن التداولية تشتغل على مفهومين أو نوعين من الخطاب هما الطبيعي، وغير الطبيعي، في متبنيات بول كرايس.

ويتوافر هذان الضربان على الشعر بلاشك، ولكل منهما طريقة فهم، إذ ((لا تؤول الأقوال الحرفية، والأقوال غير الحرفية بالطريقة نفسها. ليس للأقوال الحرفية إلا معنى واحد هو معناها الحرفي أما الأقوال غير الحرفية فلها معنيان معناها الحرفي ومعناها غير الحرفي أو المجازي))[2].

فمن القول الحرفي قول الشاعر علي جودة من مدينة الرفاعي، حينما يصف زوارًا لأحد الائمة عليهم السلام:

هي الزوار ما أخفت لسرّ الود فد أدت
اوائلها قد التحقت أواخرها لقد حثّت
بلبيك إلى السبط مناسكها له أحيت [3].

وأجد النوع غير الحرفي في بعض من شعر المتنبي حينما يصف دخول الروم لمقابلة سيف الدولة، فقال في خطابه الاستعاري:

وأقبل يمشي في البساط فما درى
إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

فيعبر عن هيبة السلطة ومدح الملك، ويصف الغثيان الذي أصاب رسول الروم، وهو يدخل القصر الملكي أو عرش السلطة، فلم يدر بسبب هيبتك أ هو زار البحر ، أم ارتفع إلى السماء لعُظم ما رأى من فخامة، ودقة ملك ,وهنالك توجه لدراسة السرد على وفق خصوصيته؛ فيرى النقاد أنه الأفضل للدراسة التداولية،((ولعل أفضل وابرز ضرب من النصوص الأدبية التي يحبذ التحليل التداولي والاشتغال عليها باليات مفتوحة هو النص السردي الذي يعتبر هو الأخر نسيجا لغويا محكما من العناصر التي تشكله، وتميزه كالشخصيات، والمكان والزمن، والاحداث والوصف، والحوار، وتعدد المستويات الأسلوبية))[4].

وقد قدم جون ك ادمز مشروعا تداوليا سرديا، وكانت القصة بيئته التطبيقية ، وقدم سؤالا عن نوعية المسرى التداولي في القصة((وإن السؤال الأول في الوصف التداولي للقصة هو :ماذا يحدث عندما تصبح أسس(مقومات)التداولية هذه قصصية أي كيف توثر القصة في بنية اللغة، وفي تأويلها؟ وأن الجواب الذي أصوغه هنا أن القصة تعرف ببنيتها التداولية، وفي المقابل تعد هذه البنية جزءا ضروريًا من أجزاء تأويل القصة))[5].

ثم يتجاوز المقولة التداولية التي تتضمن الوجود الحقيقي للفظ، أي وجود المرجع في الخطاب، ويقدم اختيارات لتجاوزها، إما رفض هذه المقولة أو تجاهلها، أو الاعتداد بالخطاب القصصي بحسب احالاته، وتماسكه،((إن المشكلات المرتبطة بالقصة والمرجع يمكن تجنبها فقط اذا تخلينا عن افتراض [إن]اللغة تمثل الحقيقة بمعنى أنه يمكننا توكيد حقيقة (صدق)العبارات حول العالم بالتحليل اللساني))[6].

ويقتنع بأن البناء التداولي القصصي منوط بالقارئ، فتكون التداولية السردية عنده مبنية على مخطط مكون من السياق، والرؤية التأويلية للقارئ، الذي يقسمه على قارئ كفء، وقارئ تاريخي، وقارئ ضمني، والفعل الكلامي، والبلاغة التداولية.

---

[1] التداولية اليوم علم جديد في التواصل:: ٣٨.

[2] التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ١٨٣.

[3] عناقيد من عنب، علي جودة، دار العارف للمطبوعات،ط٢، ٢٠٢٢م:٥٤.

[4] اليات التحليل التداولي في الخطاب الأدبي انموذجا، عبد القادر عواد، مجلة البيان، رابطة الادباء في الكويت، العدد ٤٩١، ٢٠١١م: ٣٨.

[5] التداولية والسرد ، جون ادمز:٩.

[6] التداولية والسرد: ١٧.

وقد يدفع انجازية الفعل الكلامي الذي يراه اوستين وسيرل متسما بالصدق، والنزاهة بمقولة التظاهر أي ((إن الوصف التداولي المؤسس للقصة مقام على الادعاء بان كاتب القصة يتظاهر بإنجاز أفعال الكلام))[1].

ولا يكفي هذا التظاهر وحده، بل يقوم على عملية التحليل، والتأويل باختلاق عملية تخاطبية أخرى، قد تكون مثالية، أو وهمية، أو مصنوعة، وليدة النص، غير موجودة اصلا، ولكنها تمثل فعلا كلاميا((ومن اجل بديل لتحليل أفعال الكلام المتظاهر بها، سوف أقترح وصفًا تداوليا للقصة مقاما على فعل ينجزه الكاتب لكنه ليس فعل كلام، يختلق الكاتب قصة حينما ينسب ما يكتبه إلى متحدث آخر, الأمر الذي يعني إن الكاتب ينسب إنجاز أفعال كلامه إلى متكلم يختلقه, ومن عملية الاختلاق والنسبة هذه نستنتج أن كل نص قصصي يتجسد في سياق قصصي يتضمن متكلمًا، ومستمعًا قصصيين))[2].

فلا يمكن نفي القيم التداولية في الخطاب الأدبي، ولاسيما أنها عرّفت بناء على ضابطة السيميائية، والتعبير الغريب الملحون، والبعد السياقي، وتمكين المعنى وحضوره في النص، والبعد التأويلي، والتواصلي، حينما وضحوها أنها علم استعمال اللغة، ومَن يُنكر وجود هذه القيم في الخطاب الأدبي ؟ فعندنا شعر المتنبي، والجواهري، ومقامات بديع الزمان، وخطابة قس بن ساعدة، وروايات برهان شاوي، فهل تخلو من تلك القيم؟ مَن يكتب بلا سياق موقفي وثقافي؟ ومن يكتب بلا قصد أو هدف؟ ومن منهم لم يرد خطابه خارجا عن المألوف ,واليومي, والمعتاد؟، فقد امتلأت خطاباتهم بالعدول، ومراعاة المتلقي، والتركيز على المضمر. فلا بأس بتحليلها تداوليا على وفق حزئياتها.

وبقي من أدلتي أن أشير إلى جهود المحدثين العرب بتأييدهم الدراسة التداولية للأدب، وبيان صلاحية هذه التداولية، وما التدابير اللازمة للشروع بالتحليل التداولي، وعرض ما يرونه من تبريرات:

- دراسة عبد الله بيرم من الدراسات العربية المبكرة في تداولية الشعر، زاولت التطبيق على شعر المديح، ومما يؤخذ عليه أنه لم يبرر هذا التوجه، ولم يناقشه، والسبب في ذلك قناعته -كما اظن-أن الخطاب الشعري خطاب تواصلي، وبظني أنه لم يحصل على المصادر الخاصة بهذا الموضوع ، واقصد بها المصادر الموسعة والمهمة نحو القاموس الموسوعي للتداولية فإنه لم يرد ضمن مصادره، وكتاب المقاربة التداولية للأدب، أيضا لم يفد منه ، واكتفى بكتابة تبرير بسيط في مقدمته :((إن شعر المديح عامة، وشعر مديح الخلفاء والامراء خاصة لا يخضع للشروط الجمالية وحدها وانما تراعى كذلك الشروط التداولية والاجتماعية التي تقتضي صورا من السلوك القولي بحسب المقامات استجابة لقانون عام يحكم التواصل الانساني بمجمله، وهو الذي يقضي بان نجاح التواصل لا يتم إلا بالاستجابة لقوانين التداول من تعاون وتأدب، ولياقة، ولما كانت هذه القوانين تسمو بالتواصل العادي فهي أولى بإن تسمو بالقول الشعري الذي يطلب في اصله الكمال، والجمال فكيف يترك الشاعر السمو وهو مطلبه واقصى ما ينشده ؟ إن الشعر الذي قيل بين يدي الخلفاء والأمراء يقتضي منا ضروبا خاصة من الاشتغال النقدي فكانت التداولية المنهج الأنسب لمقاربة هذا النوع من الشعر))[3].

-يرى الناقد الجزائري عبد القادر عواد بعد أن بزغت التداولية ،واستقرت ، صارت بديلة لبعض المناهج الأدبية في دراسته فيقول :((يرتبط ازدهار وفعالية الخطاب وحركية مفاهيمه بتطور المعرفة اللسانية التي اتخذت منه موضوعا أساسيًا، ومركزيا للتحليل، والتوصيف إلى الدرجة التي اعتبر فيها المنهج التداولي بديلا لنظريات ادبية رائجة اهتمت بتحليل الخطاب كلسانيات الجملة، والأسلوبية، والبنيوية، ودراسات نسقية أخرى)) [4].

وناقش النقاد الآليات التداولية في تحليل النص الأدبي، إذ يشير عبد القادر عواد إلى التوليف بين إجراءات اللسانيات ،واجراءات النقد، ومن ذلك البحث في النص وليس في الجملة الأدبية متخذة وسائلها: الإحالة النحوية، والبنية الدلالية، وبعض ما جاء به فلاديمير بروب، وغريماس، وبعض مجريات السياق التي تؤكد تواصلية النص[5].

-يناقش الدكتور جاسم حسين الخالدي المسألة بوضوح، ودقة؛ إذ يطرح سؤالًا هل تصلح التداولية أن تكون منهجا نقديا، يمكن أن يتحايث مع النصوص الأدبية من جهة مساحتها اللسانية، والثقافية؟ فيرى أنها محاولة كاملة قدمت عددًا من الرؤى للمسار النقدي، فيقول :((تأتي التداولية بوصفها آخر مولود للسانيات، ودرسا لسانيا جديدًا قدم عددًا من الاقتراحات لدراسة

---

[1] التداولية والسرد:١٩.

[2] التداولية والسرد:١٩.

[3] التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي ، عبد الله بيرم١٢.

[4] التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي ، 12.

[5] ينظر: اليات التحليل التداولي للخطاب الأدبي:٣٨.

النص الأدبي والظفر بالدلالة الكاملة والكامنة في النص ذاته، وفي نفس منتجه، وفي نفس متلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازه وأدائه))[1].

وقد يحاول الخالدي أن يكون حجاجيا، ومقنعًا عبر التمركز على حقيقة النص الأدبي اللغوية المكتوبة، وتوافر مباحث اللغة عليه، تلك المباحث التي تحضر في المسار التداولي((علم الرغم من معرفتنا بالتداولية بوصفها ممارسة لغوية خالصة، ترتبط أولا وأخيرا بما يضيفه المتكلمون -اثناء الحديث- من شروط وملابسات ترتبط بالأداء ذاته، وهو أمر يفارق الشعر كونه كلاما مكتوبا، حاول الشاعر فيه ان يخترق سنن اللغة، وقوانينها الصارمة، حتى يخلق خصائص أسلوبية له تميزه عن غيره، وهذا ما يجعل المقاربة التداولية مقبولة في قراءة النص الأدبي ؛كون الأخير يبحث عن عناصر التمييز في اللغة وفرادتها لدى مستعمليها))[2].

- يبرهن أحد الباحثين العرب وهو كرفاوي بن دومة استعمال التداولية في الخطاب السردي، إذ
يتفق مع الرأي السائد أن اللغة هي المبحث الأوفر حضورا في البحث التداولي، وقد يسبك النص الأدبي عبرها، وقد تكون لغة بعض الأدباء في نظره قريبة من الاستعمال اليومي التواصلي الذي يضم عددًا من المناويل نحو المنوال التجاري، والديني، والرسمي، والقانوني، والعامي، وهذا ما يرد في الشعر ربما[3].

ويرى أن الخطاب الأدبي يتجاوز الملفوظ، والجملة في حدود سياق تواصلي إذا تكون التداولية الأعمق منهجيا لتفسيره ((وبذلك انفتح مجال دراسة الأدب باعتباره خطابا ناتجا في سياق تواصلي معين ،مستثمرا تلك المفاهيم والادوات الإجرائية مع الخطاب الأدبي على اعتبار أن الظاهرة الأدبية متشعبة واسعة الارجاء لا يحيط بها منهج واحد أو بعض المناهج، بل قد تكون التداولية من أعمق الأدوات المنهجية في دراسة النص والخطاب باعتبارهما نسقا مفتوحا ولا يصح أن يدرسها دراسة نصية بنيوية مغلقة معزولة ثم يكتفى بها))[4].

بصراحة كثيرة هي المحاولات العربية التي تناولت ثنائية الالتقاء والافتراق بين الادب والتداولية، أخذت منها أربع محاولات للتنويه على اهمية الموضوع، وطبيعة حضوره فيها ، مستنتجا بعض الميزات، معطيا تقييما لها:
-فيما يخص دراسة عبد الله بيرم أرى أن البحث اللساني في باكورة دخوله الى الجامعات العراقية، فتعتني هذه الدراسة التأسيسية كما يعبر عنها الدكتور منتصر الغضنفري المشرف على هذه الاطروحة قبل طباعتها كتابا ، فقام بيرم بعرض المفاهيم وتطبيقها على الشعر دونما مناقشة آراء اللسانيين، والنقاد في النظر إلى مقبولية احضار التداولية في الأدب.
- كانت محاولة الناقد عبد القادر عواد غير ناضجة، وغير محيطة بخطوات التداولية في تحليل الخطاب الأدبي؛ إذ يكتفي بالإشارة الكلية الى توليفها مع الاشتغالات النقدية فضلا عن مجريات السياق.
- تتميز محاولة الدكتور جاسم الخالدي أنها لم توضح مقولات التداولية التي تصلح أن تحلل النص الشعري، واكتفى بالجزم أنها يمكن أن تحيط بالنص الشعري عبر مرجعياته الاجتماعية، والفلسفية، والثقافية بوضوح دونما إبهام، ومما يحسب له أنه طبق بعضا من مباحثها ولاسيما الفعل الكلامي ،وتواصلية النص، ومجازية بعض التراكيب ثم إدخال الأسلوب الحجاجي ضمن مباحثها وهذا مما لا يقبله البحث اللساني التداولي[5].
-التداولية النقدية في البحث العربي غير واضحة الحدود، وغير متسقة المقترحات، مجرد إشارات، وأطر كلية تفتقر إلى الشروحات، والضوابط، والطرائق التي يستوجب أن يقرأ النص الأدبي في ضوئها.
- وقد لا توجد خطوات جديدة غير الأدوات التداولية المعروفة نحو الفعل الكلامي والإشارات التداولية، والمضمرات، وقد ابتعدوا عن طروحات اوستين، وسيرل ،والفى بولان، وجون ك ادمز ،وحتى كأنهم لم يطلعوا عليهم، وعلى طروحاتهم،

---

[1] الابعاد التداولية في ديوان ورد الحناء ، جاسم الخالدي ، مجلة كلية التربية جامعة واسط، عدد خاص بمؤتمر كلية التربية : ٢١٦.

[2] الابعاد التداولية في ديوان ورد الحناء: ٢١٨.

[3] ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة تداولية ، كرفاوي بن دومة: ٢٥

[4] مقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة تداولية: ٢٦.

[5] ينظر: الابعاد التداولية في ديوان ورد الحناء:٢٢٠.

وتكاد اطروحة عبد السلام المسدي نحو التداولية الادبية هي الأرجح، والاتم حينما قسم التداولية على ثلاثة أقسام هي: التداولية الحقيقية ,والتداولية الافتراضية ، التي تدرس نصا محكيا، والتداولية الابداعية خاصة بالأدب [1].

وجاءت هذه الابداعية بمفهوم كلي أيضا وعلى الأرجح تحيل تسميتها على سنن الإبداع ولاسيما المجازات والاستعارات وغير ذلك .

لم تأت دراسة كرفاوي بجديد، فضلا عن أنها جهلت طبيعة السرد في المقامات، وهي خاصية الرمزية العالية، بل لم يتطرق إلى حرف واحد يخص السرد حتى يتناول تداولية الأدب، وجاءت خطته قائمة على إقحام الحجاج ضمن التداولية، ثم درس السياق بتفصيل لا داعي له، مرورًا بمفهومه ،وحضوره في التراث ثم أنواعه، وكرر حجاجية الصورة في الفصل الثالث.

خاتمة البحث

في المحصلة يجب التشجيع على نقد تداولي، ومبررات هذا التشجيع هي:

- يجب أن يواكب الناقد حركة الزمن ،والتحول المعرفي، والتجديد النسقي في النظريات بعيدا عن الثبات على منهج معين .
- تم إيجاد ما يسمى التداولية النقدية التي تعمل على وفق خاصية النص الشعري، أو السردي بعيدا عن التمسك بتداولية النقد الادبي التي اشتغل عليها المحللون العرب للنصوص الادبية ، بل مراجعة المؤسسين مراجعة تدبير .
- إيقان الباحثين العرب المحدثين بها على الرغم من التحفظ على بعضها، ولكنهم اقترنوا بالصواب حينما جروها نحو النص الادبي.

-النقد فعالية لغوية بامتياز لا يمكن أن يستغني عن اللغة ، وفيها يشتغل، وبها يحلل، وعندنا مناهج لغوية متعددة: البنيوي، والنصي، فاصبح الاعتداد بالمنهج النقدي التداولي مقبولا ، واكد الخطاب النقدي صلاحه عبر الانموذج اللغوي لأداء مهمة التواصل الثقافي ضمن استراتيجية الدائرة المعرفية الواسعة [2].

المراجع

- الأبعاد التداولية في ديوان ورد الحناء ، جاسم الخالدي ، مجلة كلية التربية جامعة واسط، عدد خاص بمؤتمر الدولي التاسع كلية التربية .
- الأدب وخطاب النقد، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت-لبنان، ط١ ،٢٠٠٤.
- الأسس الابستمولوجية للنظر النحوي عند سيبويه ، إدريس مقبول ، عالم الكتاب الحديث ط1, 2020 م.
- آليات التحليل التداولي في الخطاب الأدبي انموذجا، عبد القادر عواد، مجلة البيان، رابطة الادباء في الكويت، العدد ٤٩١، ٢٠١١م .
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول -جاك موشلار، ترجمة د سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م
- التداولية والسرد ، جون ادمز ، ترجمة د خالد سهر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد-العراق ، ٢٠٠٩ م.
- التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي ، عبد الله بيرم، دار مجدلاوي للطباعة والنشر،ط١، الاردن ، ٢٠١٢ م .
- التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١. ٢٠١٠م، بيروت لبنان .
- التصور التداولي عند آبن طباطبا، عبد الجليل هنوش، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، العدد ١٦٨، مجلس النشر العلمي الكويت ،٢٠٠٠-٢٠٠١م.
- عناقيد من عنب، علي جودة، دار العارف للمطبوعات،ط٢، ٢٠٢٢م.
- في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب، عيد بلبع ،مجلة الاقلام،العدد٥، ٢٠٠٨م .
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار - آن ريبول ،ترجمة مجموعة باحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة والنشر،تونس.
- المقاربة التداولية، فرنسيس ارمينكو, ترجمة :د. سعيد علوش مركز الإنهاء .

[1] ينظر : الابعاد التداولية في ديوان ورد الحناء: ٢١٩-٢٢٠.

[2] ينظر :الادب وخطاب النقد، عبد السلام المسدي٧٢.

- المقامات المطبوعة في العصر العثماني المطبوعة دراسة تداولية، جنان جاسم ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الفادسية،٢٠٢٢م .
- مقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة تداولية ، كرفاوي بن دومة، اطروحة دكتوراه ، جامعة باتنة ،كلية اللغة والادب العربي والفنون، ٢٠١٦- ٢٠١٧ م .